بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع ابنائه
العدد ١٠٨
الخميس ١١ صفر ١٤٣٣ هـ ٥ كانون الثاني ٢٠١٢م

نشرة نصف شهرية
تصدر عن المكتب الاعلامي
متخصصة بنقل أحاديث وخطابات
وفتاوى وأخبار
سماحة المرجع الديني
آية الله العظمى
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

الإمام السجاد (عليه السلام) يدعونا إلى استثمار الوقت

الاحتفال في رأس السنة لمن استثمر وقته خلالها

إحياء الشعائر الحسينية والتمهيد للظهور الميمون (١)

التعاطي مع القضية الحسينية وإحياء شعائرها على كل الأصعدة كالمنبر الحسيني والمواكب الحسينية والكتابة والتأليف في القضية الحسينية وغيرها يحتاج باستمرار إلى مراجعة ومراقبة وتمحيص لأمرين على الأقل:

(أولهما) تنقيتها مما يدخل فيها وهو ليس منها سواء على صعيد المفاهيم أو الممارسات إما بحسن نية كطلب الأجر والثواب وإن أخطأوا الطريق أو جهلا أو حماسا أو انسياقا وراء من يصنعها من دون تفكير فيها وهذا كله يشوه الصورة الناصعة لقيام الإمام الحسين (عليه السلام) ويؤخر مسيرته في بلوغ أهدافه.

وقد نبهنا إلى جملة منها، مثلا على صعيد المفاهيم ما يردده الخطباء من أن من بكى أو تباكى على الحسين (عليه السلام) دخل الجنة بغير حساب ويروونها عن الأئمة (عليهم السلام) بقول مطلق حتى لو فعل ما فعل من دون أن يقيدوها بشرطها وشروطها كالالتزام بالصلاة لقوله (صلى الله عليه وآله): (لن تنال شفاعتنا مستخفا بصلاته) وتجنب ظلم الآخرين، لقول الإمام السجاد (عليه السلام) آخر ما أوصاني به أبي الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء (اتقي ظلم من لا يجد ناصرا عليك إلا الله تبارك وتعالى).

وعلى صعيد الممارسة ذكرنا التطبير والمشي حفاة على الجمر وضرب الظهر بسكاكين حادة تقطع لحم الظهر ونحوها في حين نستطيع تحقيق المواساة بفعاليات هادفة كالتبرع بالدم لضحايا التفجيرات الإرهابية والأطفال المصابين بفقر الدم (الثلاسيميا) مواساة لنزف أبي عبد الله (عليه السلام) دمه لإنقاذ الإنسان وإصلاحه.

وإنشاء مؤسسات رعاية الأرامل والأيتام والمحتاجين لمواساة العقيلة زينب (عليها السلام) والهاشميات وأيتام الشهداء بدل مواساتهم بالمشي على الجمر والنار أو تقطيع لحم الظهر بالسكاكين ونحو ذلك من المشاريع الخيرية التي تكون صدقة جارية للإمام الحسين (عليه السلام).

ونذكر الآن موردا آخر وهو ما يتداول بأن الرياء مذموم إلا في ما يتعلق بقضية الحسين (عليه السلام) وينسبوه إلى الرواية.

ولم يقع نظري على مثل هذا الحديث ولو وجد فإنه مخالف لكتاب الله تعالى وسنة نبيه وكل حديث هكذا فقد وصفه الأئمة (عليهم السلام) أنه (زخرف من القول لم نقله).

نعم يمكن أن نفهمه بمعنى إيجابي، وهو أن شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) باعتبارها أمورا علنية ممدوحة ويشار إلى صاحبها بالثناء في المجتمع فتكون عرضة لحصول الرياء بشكل كبير، والنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فهذه المقولة تدعو إلى الاستمرار بأداء هذه الشعائر وعدم جعل الخوف من حصول الرياء سببا للانقطاع عنها لكن مع بذل الوسع في مجاهدة النفس لإخلاص النية، وأن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، وللكرامة الخاصة للإمام الحسين (عليه السلام) فإنه تبارك وتعالى يجعل ملائكة خاصة تطلب من الله تعالى أن ينقي نيات المشاركين ويخلصها له تعالى ويبلغ بنياتهم أحسن النيات كما ورد في الدعاء، كما أن حشدا من الملائكة يدعون لهم بقضاء الحوائج وآخرين بالقبول وآخرون بالمغفرة وآخرون بالخلف عليهم وعلى أهلهم وأموالهم وآخرون بردهم إلى أهلهم سالمين وهكذا.

وهذا المعنى ليس ببعيد على سعة رحمة الله تعالى وكرامة الإمام الحسين (عليه السلام) لكنه يتطلب مجاهدة في إخلاص النية قدر الإمكان.

(ثانيهما) تحديثها وتجديدها بما يناسب خلود الثورة الحسينية ودوام دورها في حفظ الإسلام النقي الأصيل ونشره في ربوع الأرض وإقناع كل الأمم به حتى يُظهر الله تعالى دينه على الدين كله بظهور بقيته الأعظم (أرواحنا له الفداء)، ولذا يكون شعاره (يا لثارات جدي الحسين (عليه السلام)).

إن تبني الإمام (عليه السلام) لهذا الشعار ليس مستندا إلى زخم العاطفة فقط وإنما لأن وسيلته الفاعلة التي ينفذ منها إلى قلوب وعقول كل الناس هي قضية جده الحسين (عليه السلام) لذا لابد من عرض القضية الحسينية بالنحو الذي يمهد لقيام الإمام (عليه السلام) وينصر حركته المباركة.

لاحظوا مثلا ما تشهده البلاد العربية من ثورات وحركات شعبية سموها (الربيع العربي) وبغض النظر عما أدت إليه من نتائج وتداعيات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية فلسنا الآن بصدد تقييمها، لكن أبرز نتائجها هو انتصار مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) في من يستحق ولاية أمر الأمة، وفشل النظرية المقابلة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي أسسوها على مدى ألف وأربعمائة عام وثقفوا عليها أتباعهم ولفقوا أحاديث مكذوبة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه يجب على الأمة أن تطيع الحكام ولو كان أحدهم فاسقا فاجرا مستبدا ظالما منتهكا لكل الحرمات والمقدسات كيزيد ابن معاوية وفسروا بذلك قوله تعالى (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) وإن أولي الأمر هم الحكام وإن تسلطوا قهرا على الأمة بالحديد والنار.

لكن أتباع تلك المدرسة هم من انتفض عليها اليوم وثار وداس بأقدامه تلك الأطروحات البائسة التي خدروا بها أتباعهم ونوموهم حتى استيقظوا اليوم ورفضوا ما كان يقول لهم المستأكلون بعلمهم الذين يطلبون الدنيا بالدين وجسدت هذه الشعوب عمليا انتصار مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) والتي أعلنها بصرخات مدوية ومنها قوله (عليه السلام) (أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا عهده مخالفا لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحقّ ممن غيّر)(٢).

هاتان المسؤوليتان يجب أن نستشعرهما دائما فنعزز ونديم ما يحقق الغرض المطلوب، كهذه المسيرة المليونية التي هزّت بصمتها الإنسانية كلها فتابعتها بإعجاب وذهول مقترنين بالتساؤل عن صاحب الذكرى وسر عشق هذه الملايين المضحية المتدافعة له، وتفسير استدامة هذه العاطفة الجياشة على مدى القرون الكثيرة، وستوصلهم هذه التساؤلات إلى الإيمان بالله تعالى وبولاية أهل البيت (عليهم السلام)، وفي ذلك تمهيد عظيم لظهور الإمام (عليه السلام)، لأن الظهور المبارك لابد أن تسبقه معرفة بالإمام وقضيته وأهدافه وأسباب حركته، أما مع الجهل بكل ذلك فكيف سنتوقع حصول الفتح، وبين أيدينا مثال وهي البعثة النبوية الشريفة حيث كان للإرهاصات والأخبار التي سبقتها مبشرة بقرب زمان النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) دور وحافز في دفع عدد من السابقين إلى الإسلام والإيمان.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا في عداد من نصر الإمام الحسين (عليه السلام) وعرف حقه والله ولي التوفيق.

---

(١) كلمة سماحة الشيخ (دام ظله) في مجلس البحث الخارج يوم الاثنين ٨/صفر/١٤٣٣ الموافق ٢/ ١/ ٢٠١٢ وورد بعضه في حديث سماحته مع حشد من طلبة الكلية التقنية الإدارية في بغداد بحضور بعض زوار الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) القادمين من الولايات المتحدة الأمريكية يوم الجمعة ٥/صفر/١٤٣٣ الموافق ٣٠/ ١٢/ ٢٠١١

(٢) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: ٢١٨

الإمام السجاد (عليه السلام) يدعونا إلى استثمار الوقت (٣)

هذه الأيام أيام الإمام السجاد (عليه السلام) بامتياز لأن فيها ذكرى استشهاده، ولأنها أيام مصائبه وآلامه التي عجزت الجبال الرواسي عن تحملها، ولأنها أيام مكارمه ومآثره ومواقفه العظيمة في الكوفة والشام والمدينة التي شابهت مواقف جديه رسول الله وأمير المؤمنين وأبيه الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وبهذه المناسبة نقول: عندما يتناول الخطباء والمتحدثون ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) فإنهم يركزون على جانب المأساة في حياته أي قضية كربلاء وما تلاها من أحداث، وهي لعمري صفحة مؤلمة في تأريخ الإنسانية اهتزت لها مشاعر الأعداء قبل الموالين كما تشهد بذلك جملة من الروايات التأريخية في كربلاء وما بعدها مما اضطر يزيد اللعين أن يتبرأ مما جرى ويرمي بمسؤوليته على ابن زياد.

أي المحاجر لا تبكي عليك دما
أبكيت والله حتى محجر الحجر

فهذا النمط من تناول الأحداث مشكور ومأجور وضروري لإبقاء الوهج والزخم للحادثة ولتوسيع قاعدة المتأثرين به واندفاعهم بسبب ذلك إلى الإيمان بمبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) ومدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم) عموما، على أن يخلو من الإسفاف الذي لا يليق بالمقام المقدس للأئمة المعصومين (عليهم السلام) كإنشادهم عن حال الإمام السجاد (عليه السلام).

ويصيح واذلاه أين عشيرتي
وسراة قومي أين أهل ودادي

في حين أن الله تعالى يقول ردا على المنافقين: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ (المنافقون:٨) ويقول الإمام السجاد (عليه السلام) في بعض أدعية الصحيفة السجادية (فأولياؤه بعزته يعتزون) وما خرج الإمام الحسين (عليه السلام) إلا لرفض الذلة وتحصيل العزة حتى أصبحت كلمته شعارا (هيهات منا الذلة) وقال (عليه السلام): لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد).

فإثارة العاطفة أمر محمود ومنتج بشرط تهذيبه وتصحيحه، وهو من جملة الأمور التي يجب تنزيه المنبر الحسيني عنها. مضافا إلى أن الاقتصار عليه يحرمنا الكثير مما ينبغي أن نتعلمه ونتزود به لديننا ودنيانا وآخرتنا، فحياة الإمام السجاد (عليه السلام) حافلة بالعطاء في مختلف شؤون الحياة وكان له تأثير فاعل في حياة الأمة جميعا وليس فقط في شيعته ومواليه، ففي الحادثة المعروفة التي أنشأ فيها الفرزدق قصيدته الميمية المشهورة، حينما انكشف الناس جميعا عن الحجر الأسود وأصبحوا صفين ومشى الإمام السجاد (عليه السلام) بهدوء وسكينة ووقار ليلثم الحجر الأسود في حين عجز الملك الأموي بكل جبروته وبطشه وعدته العسكرية وجيوشه أن يتقدم نحو الحجر، وربما لم يكن في ذلك الجمع من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) إلا القليل كما هو المعروف على مر السنين، لكن هيبة الإمام السجاد (عليه السلام) فرضت على الجميع وحبه ومودته ألقيا في قلوب الجميع فلم يتمالكوا أنفسهم، وهذا شاهد على سعة عطائه وعمق تأثيره في الأمة كلها.

هذا ما يجب إظهاره من حياة الإمام السجاد (عليه السلام)، وإن حالة واحدة من حالاته (عليه السلام) وهي الدعاء تملأ مجلدات من الشرح والبيان، فضلا عن حالاته المباركة الأخرى سلام الله عليه.

ولنقف الآن عند فقرة من دعائه (عليه السلام) في طلب مكارم الأخلاق المملوء بالمبادئ والأخلاق وبرامج العمل للحياة الإنسانية المثلى التي تجلب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي فقرة تعالج مشكلة خطيرة تعاني منها كل المجتمعات حتى المتحضرة فضلا عن المتخلفة والجاهلة وهي مشكلة الفراغ وتضييع الوقت وملئه بأي شيء بلا تخطيط لجعله منتجا هادفا، قال (عليه السلام): (اللهم صل على محمد وآله واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غدا عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له).

فالإمام (عليه السلام) يبين أهمية الوقت ويدلنا على ما يجب أن نملأ أوقاتنا به، وهو ما يحقق الغرض الذي خلقنا لأجله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) بالمعنى الواسع للعبادة الذي لا يقتصر على العبادات المعروفة، بل ليجعلوا محور حياتهم في كل حركاتهم وسكناتهم ما يرضي الله تبارك وتعالى ويقربهم إليه ويسمو بهم، وهي رسالة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) جميعا ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (هود : ٦١) هذه رسالتهم باختصار التي بلغوها لأقوامهم، توحيد الله تعالى الذي طلب منكم إعمار الحياة وفق المنهج الإلهي لأن فيه سعادتكم وفوزكم وفلاحكم.

هذا ما يجب أن نكرس له أوقاتنا في حياتنا كلها من دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (يا رب أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة) وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) يوم الثلاثاء (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر) وفي دعائه (عليه السلام) ليوم السبت (وتوفقني لما ينفعني ما أبقيتني).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (واعلموا أنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها)(٤).

إن الجنة التي عرضها السماوات والأرض والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ثمنها أن تستثمر هذه اللحظات وهذه الساعات، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما) ويقول (عليه السلام): (إن المغبون من غبن عمره، وإن المغبوط من أنفد عمره في طاعة ربه).

فرأس مال الإنسان في هذه التجارة التي لن تبور: عمره ووقته وإضاعة أي جزء -ولو للحظة- بغير تحصيل الغرض المطلوب خسارة توجب الندامة؛ لأن اللحظة يمكن أن تكون فيها تسبيحة تغرس له بها شجرة في الجنة كما في بعض الأحاديث الشريفة، أو أي حسنة ترجح كفة حسناته يوم تنصب الموازين بالقسط.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم، ففائتها لا يعود).

تجد الكثير من الناس يحزن لضياع مال أو تلفه أو فوت فرصة فيها ربح وفير مع أنه يمكن أن يعوضه وأن فائدته هو ما يرتبط بحياته الزائلة، ولا يكترث لفوت شيء من عمره في غير طاعة الله تبارك وتعالى فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (بادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق) ومن وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه): (يا أبا ذر كن على عمرك أشح منك على درهمك وديناراك).

هذا إذا لم نفترض أن الكثير من الوقت يقضى في معصية الله تبارك وتعالى فتبا لها من صفقة خاسرة.

أذكر لكم باختصار حكاية لنأخذ منها العبرة رواها أحد الفضلاء الأساتذة عن أبيه وهو أحد مراجع الدين في كربلاء المقدسة عن شخص ثري تعرض لسجن واضطهاد في بعض البلدان وكانت له أموال وتجارات فهاجر مع أهله إلى كربلاء قبل سبعين عاما تقريبا وبسبب تلك الضغوط والآلام أصيب بلوثة في عقله فكان إذا أراد أن يسخن الماء ليصنع قدحا من الشاي يحرق الدنانير -كان كل دينار يعادل مثقالا من الذهب يومئذ- في الموقد إلى أن ينضج الشاي، ثم يحتسي القدح فرحا منتشيا ويقول هذا القدح من الشاي قيمته عشرة آلاف دينار.

ربما نسخر من هذا ونستقبح فعله ولا نعلم -وشر البلية ما يضحك- أننا أسوأ حالا منه لأننا نحرق ساعاتنا وأيامنا ولياليها التي هي رأس المال في التجارة التي لن تبور مع الله تعالى ويمكن أن نحصل بها على الدرجات العليا في الجنان والنعم العظيمة ومصاحبة النبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) نحرقها في ما لا قيمة له، بل أحيانا في ما يسخط الله تبارك وتعالى ويوجب عقابه والعياذ بالله.

وإذا كنا دقيقين أكثر فإن علينا أن نقدم الأهم على المهم والأعلى رتبة على الأقل رتبة وإن كان كل منهما طاعة، تصوروا لو أن شخصا مريضا ويجب عليه تناول دواء معين وعنده ثمنه لكنه لا يفعل ذلك بل صرف الثمن على شراء أكلة يشتهيها وترك نفسه عرضة للأوجاع وتداعيات المرض مع أن الأكل في نفسه مفيد، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (من اشتغل بغير المهم ضيع الأهم) وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من شغل نفسه بما لا يجب ضيّع من أمره ما يجب)، ومن أمثلتها عندنا نحن -الحوزة العلمية- اشتغال البعض بمطالب علمية ترفية لا دخل لها في وظيفتنا الإلهية.

هذه هي أهمية الوقت، لكننا نشهد أن أتفه شيء عند الإنسان هو الوقت وآخر ما يحرص عليه وقته، بل إنه يقوم بأفعال عبثية ولهوية كثيرة مما يسمى بالهوايات أحيانا كتربية الطيور أو جمع الطوابع أو حل الكلمات المتقاطعة أو بعض الألعاب المسلية ويقول بصراحة ووضوح إنه يفعل ذلك لقتل الوقت أو حرق الوقت وفي الحقيقة فإنه إنما يقتل نفسه ومستقبله الحقيقي وما يقوم به أسوأ من هذا الرجل الذي حكينا قصته في حرق الدنانير.

ومما يزيد الحالة سوءا أن البعض لا يكتفي بتضييع وقته وهدر عمره، بل يقوم بتضييع أوقات الآخرين بالأحاديث الفارغة والأعمال العبثية ويدفع الآخرين ليكونوا مثله.

أيها الأحبة:

إننا إذن أمام مسؤولية كبيرة وهي إدراك أهمية عمرنا وما يجب أن نستثمره فيه لنحصل على أرقى الدرجات وهذه حقيقة تكشف لنا واقعنا المؤلم لأن العمر يجري مع كل نفس ولا ينتظرنا، ويمر بسرعة قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ (الروم: ٥٥) وقال تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ (النازعات: ٤٦) وفي قصص الأنبياء أن النبي نوح (عليه السلام) وهو الأطول عمرا شبه عمره الطويل بانتقالته لحظة من الشمس إلى الظل.

وهذا ما يعلمنا إياه الإمام السجاد (عليه السلام) في فقرة من دعاء

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(٣) كلمة ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي على طلبة البحث الخارج يوم الأحد ٢٩ محرم ١٤٣٣ المصادف ٢٥/ ١٢/ ٢٠١١ وتحدث ببعض أفكارها في لقائه مع وفد كلية الطب في جامعة البصرة وطلبة إعدادية الفجر في ناحية الفجر يوم الجمعة ٢٧/محرم/١٤٣٣.

(٤) نهج البلاغة: الكلمة ٤٥٦

الاحتفال في رأس السنة لمن استثمر وقته خلالها (٥)

من كلمات الإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام) وقد مرّ في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم فقال: (إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحك لاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته) ثم مضى (عليه السلام).

علينا أن نستحضر هذه الموعظة في كل لحظات حياتنا، لأنها كلها مضمار للتنافس واستباق الخيرات لنيل أفضل الدرجات عند الله تعالى وها نحن اليوم في نهاية سنة ميلادية ٢٠١١ -وفق حساباتهم- وعلى أبواب سنة جديدة ٢٠١٢ بإذن الله تعالى وقد كانت السنة المنقضية مضمارا تسابق فيه الخلق فالعجب كل العجب مما يشهده العالم من شرقه إلى غربه من احتفالات صاخبة بمناسبة يسمونها رأس السنة الميلادية، وتهدر فيها المليارات من الدولارات، وتعطل فيها الأعمال عدة أيام في بعض الدول، وهذه خسائر إضافية، وتعرض الفعاليات المنوعة كالألعاب النارية والرقص والغناء والحفلات الماجنة، ويشارك فيها المسلمون أيضا من دون مراعاة لأخلاقهم وتعاليم دينهم ووصايا أئمتهم، وفي مثل هذه السنة ٢٠١٢ سيكون أولها يوم استشهاد الإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام).

وقد توسع الاحتفال ليشمل كل شخص بعيد ميلاده السنوي.

وبغض النظر عن الأخطاء المتعددة في التاريخ الميلادي الذي بيناه في بعض محاضراتنا السابقة من حيث السنة والشهر واليوم، فإننا نريد أن نتساءل عن معنى هذا الاحتفالات والفرح والسرور، وهل لها واقعية أم لا؟

إذ إننا نجد أن الأحرى بهم أن يحزنوا ويندموا ويتأسفوا لأن سنة مرّت عليهم ونقصت من أعمارهم، مما يعني أنهم اقتربوا من آجالهم من دون أن يستعدوا لها، بل عملوا على عكس ما يراد منهم وضيعوا هذا الرصيد الذي تشترى به الجنة ورضا الله تبارك وتعالى، واشتروا به سخط الله تعالى والنيران إلا من شمله الله تعالى بلطفه ورعايته الخاصة، فكانت الحياة لمثله زيادة له في كل خير كما في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)، ومع ذلك فإنه (عليه السلام) يقف بين يدي ربه ذليلا متواضعا ويقول (ويلي كلما كبر سني كثرت معاصيّ! ويلي كلما طال عمري كثرت ذنوبي).

إن الإنسان عبارة عن رصيد من السنين والأيام يقدرها الله تبارك وتعالى فكلما انقضى يوم أو مرّت سنة فإنه يعني أنه فقد جزءا منه حتى ينتهي بالموت ويصبح بلا قيمة إلا بمقدار ما قدم لآخرته، مثل رصيد الهواتف المحمولة الذي يساوي عددا من الدقائق فكل دقيقة من الاتصال تعني ذهاب جزء منه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (إنما أنت عدد أيام فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك فخفض في الطلب وأجمل في المكتسب) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (العمر أنفاس معدودة) وعنه (عليه السلام) (نفس المرء خطاه إلى قبره).

وقد تحدثنا في كلمة سابقة عن أهمية الوقت وضرورة اشغاله بما يحقق رضا الله تبارك وتعالى ويقربنا منه لأنه هو الثمن الوحيد الذي يستحق صرف العمر فيه.

وقد اهتم الشارع المقدس بالوقت وربط به أغلب فعالياته ليكون الانسان ملتفتا إليه ومراقبا له حتى لا يضيع منه، فالصلاة التي هي عمود الدين لها أوقات خمسة محددة يوميا تجب مراعاتها وفي ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام) (امتحنوا شيعتنا في أوقات الصلاة) أي ليس المطلوب منه المحافظة على أصل الصلاة فقط بل على أوقاتها الخمسة، وهكذا بقية الطاعات فالصوم مرتبط بشهر رمضان في عدد أيامه وبالفجر والغروب يوميا، والحج مرتبط بأشهر الحج وأيامه، والخمس والزكاة مرتبطان بالحول، وهناك الشعائر الدينية والمناسبات والأدعية والزيارات المرتبطة بالأوقات، حتى جعل لكل يوم من أيام الأسبوع دعاء وكل يوم من أيام الشهر دعاء بل لكل ساعة من ساعات الليل والنهار دعاء، وكانت بعض الأوقات تعرف ببعض الأوراد المقررة لها، كالذي نقل عن بني الحسن (عليه السلام) في سجن المنصور العباسي أنهم كانوا يعرفون أوقات الصلاة بأوراد مرتبة لعلي بن الحسن المثلث حفيد الإمام السبط (عليه السلام).

وللقيمة الكبرى للوقت فقد وردت الوصايا باغتنامه واستثماره، كما في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) (يا أبا ذر: اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) وفيها (يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).

قد يتصور الإنسان صعوبة الاستمرار على الطاعة وان ادامتها شاقة لا تطاق وهذا نابع من غفلته، ويهول الشيطان له هذا الأمر، اما الواقع فهو خلاف ذلك لأنه لا يعيش عمره كله في هذه اللحظة حتى يستحضر كل الصعوبات فيها، بل هو يعيش لحظته وهي مما لا يعسر تحمل العمل فيها، أما الزمان السابق فقد مر وانتهى، والزمان اللاحق لم يأت بعد فلماذا يحمل همه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن عمرك وقتك الذي أنت فيه) وقال (عليه السلام) (المرء ابن ساعته). وفي الحديث الشريف (العمر ثلاث ساعات، ساعة مضت لست بقادر على إرجاعها، وساعة تأتي لست بضامن لها وساعة أنت فيها فعليك بها) وفي حديث آخر (الطاعة صبر ساعة).

ولأن الله تعالى يعلم إن الإنسان تعتريه الغفلة والنسيان والكسل مما يضيع عليه كثيرا من رأسماله الثمين وهو عمره ووقته، مضافا إلى النوم الذي هو ضروري للبدن لكن كثرته مذمومة وهو من أوسع أسباب تضييع العمر فإنه يستغرق ثلث العمر أو أكثر أي عشرين سنة ممن عمره ستون سنة، لذا ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) (إن الله يبغض العبد النوام) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اربع القليل منها كثير: النار والنوم والمرض والعداوة) وفيها (بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفوت كثير الأجر).

أقول لأن الله تعالى يعلم ذلك من الإنسان فقد دله بكرمه على ما يحول هذا النوم إلى وقت مثمر بأن ينام على طهور حتى ورد في الحديث (ان من نام متطهرا كان فراشه مسجده، ومن مات في نومه على طهور مات شهيدا) خصوصا إذا سبقه بتلاوة بعض الآيات والأدعية المباركة وان لا يتجاوز المقدار اللازم لتجديد نشاط البدن، وورد في نوم الصائم في شهر رمضان (ونومكم فيه عبادة).

كما ورد التطمين بلطف الله تعالى وكرمه أن من ضيّع جزءا من عمره بما لا ينفع وقد يضرّ فإن الله تعالى سيكتبه عمرا صالحا إذا رجع إلى ربه والتفت وأصلح حاله فيما استقبل من عمره، عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومن أساء فيما بقي من عمره أخذ بالأول والآخر)(٦)، قال تعالى ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (الفرقان/٧٠) هذا كله مضافا إلى ما ذكرناه في المحاضرة السابقة من إعطاء عمر جديد فوق العمر الطبيعي يستزيد فيه من الخيرات بعد الموت ولا ينقطع عمله به.

ولأهمية حياة الإنسان وعمره في اكتساب الطاعات وانه كلما زاد عمره كثرت فرص الطاعة عنده وتحقيق السعادة قال النبي (صلى الله عليه وآله): (خير الناس من طال عمره وحسن خلقه) (سنن الترمذي/ ٢٣٣٠) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسره)، قدم لنا الأئمة المعصومون الأسباب المادية والمعنوية لإطالة العمر.

وأعني بالمادية: ما يحفظ صحة البدن ويجنبه ما يضره ويديم قدرته على القيام بالطاعات كالتوازن في الطعام والشراب كما وكيفا قال تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف/٣١) وفي الحديث الشريف (ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه) والوصية بالصوم كقوله (عليه السلام) (صوموا تصحوا) واستحباب صيام ثلاثة أيام في الشهر وهو عين ما توصل إليه العلم الحديث توا حيث نصحوا بالامساك عن الطعام يوما كل عشرة أيام للحفاظ على الصحة، مضافا إلى الوصايا الكثيرة في تناول أطعمة وأشربة معينة وتجنب غيرها وكذلك الأمر ببعض الحالات والفعاليات الحياتية وتجنب غيرها مما لسنا بصدده(٧).

وأما الوصايا المعنوية فمنها الدعاء بإطالة العمر في خير وعافية وسعة رزق وسلامة في الحواس وأن يكون كل ذلك مكرسا لطاعة الله تعالى وطلب رضاه (اجعل قوتي في طاعتك ونشاطي في عبادتك) (سلامة أقوى بها على طاعتك)(٨) ومن المعنوية لإطالة العمر ما ذكرته الأحاديث الشريفة كقول النبي (صلى الله عليه وآله) (اكثر من الوضوء يزيد الله في عمرك)(٩) وقوله (صلى الله عليه وآله) (من سره أن يبسط في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه)(١٠) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (من أراد البقاء فليباكر الغذاء وليقل غشيان النساء) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (من

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(٥) من حديث سماحة الشيخ (دام ظله) مع طلبة جامعة الصدر الدينية فرع الكرخ الثانية في بغداد/ حي المعارف يوم الثلاثاء ٢/صفر/١٤٣٣ الموافق ٢٧/ ١٢/ ٢٠١١ ومع فرع كربلاء وحشد من ابنائها يوم الأحد ٧/صفر/١٤٣٣ الموافق ١/ ١/ ٢٠١٢

(٦) بحار الأنوار: ٧٧/ ١١٣

(٧) راجع كتاب (مكارم الأخلاق) للطبرسي وكتاب الأطعمة والأشربة من وسائل الشيعة.

(٨) من دعائي الأربعاء والخميس في الصحيفة السجادية.

(٩) بحار الأنوار: ٦٩/ ٣٩٦

(١٠) بحار الأنوار: ٧٤/ ٨٩

(١١) بحار الأنوار: ٦٩/ ٤٠٨

(١٢) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٠٥

تتمة الاحتفال في رأس السنة لمن استثمر وقته خلالها

حسنت نيته زيد في عمره)(١١) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من حسن بره بأهل بيته زيد في عمره)(١٢).

إن الطريق لتحقيق الاستثمار الأمثل للوقت هو في المبادرة إلى العمل وعدم التسويف والتأجيل لأن الفرص تمرّ مرّ السحاب ومن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (إياك والتسويف بعملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غدٌ لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غدا لك لم تندم على ما فرّطت في اليوم).

وكذلك في تنظيم الوقت وتوزيعه بدقة على الأولويات بعد تحديدها طبعا فتبرمج أولا أوقات الفرائض اليومية وما يتيسر معها من مقدماتها وتعقيباتها وتلاوة القرآن، ووقت العمل والكسب، ووقت العائلة ومسؤولياتها، ووقت المطالعة وتجديد المعنويات والتأمل والتفكير، ووقت الالتزامات الاجتماعية الأخرى وهكذا .هذا على صعيد وظائفه الفردية، وهناك وظائف اجتماعية لعلها الأكثر إيصالا إلى رضوان الله تبارك وتعالى كالعمل الإنساني والخدمي وقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم وكفالة الأيتام ورعاية المحتاجين والمسنين وإصلاح ذات البين بين الأفراد أو العشائر وغيرها كثير وقد شجعنا مرارا على تأسيس منظمات المجتمع المدني لبلورة جهد جماعي يغطي هذه الفعاليات والنشاطات.

وفي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا -أي قاصدا ومتحركا- إلا في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه) هذا هو الإطار العام لما يجب أن يكون عليه الإنسان في جميع حالاته ليكون في الاتجاه الصحيح بفضل الله تبارك وتعالى.

ويحسن الاستفادة من تجارب وخطط العلماء الأكاديميين المتخصصين في إدارة الوقت (TIME MANAGEMENT) وهم وإن كانوا يقصدون بها وقت العمل والكسب والإنتاج إلا انها في خطوطها العامة يمكن أن تنفع في المجالات الأخرى من حيث كيفية تقسيم الوقت على الأعمال ووضع سقف زمني لإنجاز كل منها وهكذا، وإن كنا مستغنين عنها لو التزمنا بوصايا أهل البيت (عليهم السلام) وتعليماتهم.

ومن دون تنظيم الوقت ومراقبته يضيع الكثير في الفوضى وعدم التخطيط والارتباك بحيث تفقد القدرة على استثمار الوقت إذا لم تضع برنامجا، ويتحقق الغبن في العمر الذي تحدث عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

في بعض الروايات ان أجزاء عمر الإنسان وأوقاته تعرض عليه يوم القيامة على شكل صناديق فما قضاه في خير سرّه منظره، وما قضاه في سوء أفزعه مرآه، والأكثر يراها فارغة ضاعت عليه ولم يستثمرها فتشتد حسرته لكثرة ما ضاع منه وكان يكفيه اليسير منها لو شغلها بالطاعة كتسبيحه في ثوانٍ أو الصلاة على النبي وآله أو قراءة سورة قصيرة من القرآن الكريم أو استماع لموعظة أو التحدث بأمر مفيد والعاقل هو من اتعظ بهذا وهو في الدنيا ليتمكن من التعويض. في غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي).

إن لقاءنا هذا وحديثنا هو نمط مثمر لما يمكن أن تكون عليه الاحتفالات أي اننا احتفلنا أيضا لكن بطريقتنا الخاصة كما يقال.

سيادة الأخلاق (١٣)

أرى وجهاً له ولهت قلوبُ ... لكهلٍ زان منظرهُ المشيبُ
وشيخاً أن تراهُ وتلتقيه ... ترى خلقاً به غضٌّ وطيبُ
ونورٌ قد تخالط بالمعالي ... وتبعدُ عن محياهُ العيوبُ
علا نور الهداية في جبين ... فصار الحاسدون لهُ تهيبُ
سليل طيّبُ الأنساب فخراً ... فلا دغلٌ بنسبته يشوبُ
وعى للعلم حقاً في شباب ... وجافى الفاتنات وما يريبُ
توثق بالولاية في ثبات ... ولم تثني تمسكه الخطوبُ
وعاهد ربه للآل يرعى ... وذكراه البتولة لا تخيبُ
يراعُ في أنامله كسيف ... وفي علم إذا أملى يصيبُ
فجاءَ الوالهون له ورودا ... إلى أسفاره كلٌّ يؤوبُ
فأترع هائماً عذباً وأروى ... زلالٌ من خواطره سكيبُ
وشيخٌ حبهُ شغل الفؤادا ... بقى في روح عاشقه دبيبُ
فأنت محمدٌ تابعت هدياً ... بهدي محمد تبقى تجوبُ
فلا أخفي الهوى فيكم بسري ... وفي الإعلان لا يُخشى رقيبُ
وأسلافٌ لكم بلغوا المعالي ... ومن ساحاتهم خلت العيوبُ
فذاك محمدٌ وتلاهُ موسى ... وجاءَ محمدٌ لهم الربيبُ
بحبل الله حقاً قد تواصوا ... وحبل رسوله حقاً يؤوبُ
أيا شيخاً لك الأرواح تهفوا ... فلو سائلتها حقاً تُجيبُ
وفي أقوالكم للناسِ رشداً ... فلا يبدو بها شيء مريبُ
لتحيا شامخاً بحياة علم ... ويبقى نجم علمك لا يغيبُ
وتبني جاهداً للناس فقهاً ... تحذرُ فيه إن تعمى القلوبُ
فهذا جهدكم في الله يبقى ... ونسأل ربنا أن لا تخيبوا
فهذا شيخنا بالخلق يزهوا ... ففي أخلاقه وصفٌ عجيبُ
فما بلغ العلا الا خلوقٌ ... حباهُ الله في علم يصيبُ
لقد سادت بأخلاقِ شعوبٌ ... كما سقطت بأدناها شعوبُ

---

(١٣) أبيات أنشدها المهذب عبد علي ناجي آل سهيل وهو من زملاء سماحة الشيخ (دام ظله) منذ نهاية السبعينيات، هاجر من العراق بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وهو الآن مقيم في الولايات المتحدة، ويزور العراق سنويا في ذكرى الزيارة الأربعينية ليشارك السائرين مشيا إلى الإمام الحسين (عليه السلام)

تتمة الإمام السجاد (عليه السلام) يدعونا إلى استثمار الوقت

مكارم الأخلاق فيدعونا إلى أن نصرف أوقاتنا بما نحن مسؤولون عنه يوم القيامة ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ (الصافات : ٢٤) وأن نستفرغ أيامنا بالسير في الاتجاه الصحيح نحو الهدف.

ويعلمنا (عليه السلام) كيف يمكننا تحقيق ذلك مع كثرة الخطوط والمسارات وتعدد الخيارات وتداخل الاتجاهات والرؤى والبرامج فيقول (عليه السلام): (واكفني ما يشغلني الاهتمام به) فالطريق أن تصفي ذهنك وبرامج حياتك من كل شيء زائد عما يشغلك الاهتمام به عن السير نحو الغاية، وإلا سيضيع وسط هذه الفوضى ولا يصل إلى ما بعد الموت من أكبر الوهن).

النتيجة المطلوبة، وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن).

لاحظوا الفرق بين ما نحن عليه، وما يريد الله تبارك وتعالى منا، إننا نضيع رأس مالنا بما يضر ولا ينفع، والله تعالى يريد لنا أن لا نقف عند حدود استثمار أعمارنا بل يدعونا إلى أن نكون مباركين معطائين حتى بعد وفاتنا فنحصل على عمر مديد من العطاء أو قل لنحصل على رأس مال إضافي كالشيخ الطوسي (قدس سره) الذي مر على وفاته ألف عام تقريبا وهو يزداد تألقا وعطاء، وكالشيخ الحر العاملي الذي مرّت على وفاته قرون ولا يستطيع فقيه أو عالم الاستغناء عن كتابه وسائل الشيعة، وهذا ما دعانا إليه الحديث النبوي الشريف (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وفي الحديث الشريف المشهور (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) ومن هذا الباب تفضل الله تعالى بكتابة الحسنة لمن نواها ولم يوفق لفعلها، وكذلك ما ورد من أن من أحب عمل قوم أشرك في أجورهم وحشر معهم.

كل ذلك من أجل مضاعفة الربح لهذه التجارة النفيسة مع الله تبارك وتعالى لمن استثمر عمره ووقته.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : com
ويمكنكم تصفح موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي